" الكتاب ومؤلفه "

" تقديم "

الدكتور / عبد الله عبد الرحمن يتيم

متحف البحرين الوطني

رئيس تحرير مجلة البحرين الثقافية

أشارك الأستاذ والزميل حسين فهيم رغبته الملحة في إشـــراك الأنثروبولوجيـــا (علم الإنسان) في خضم السجالات الفكرية والفلسفية العامة ، الأمر الذي يتيح لهـــا إيصال صوتها وخبرتها في النقاش حول القضايا والمقولات الكبرى التي تشغل بـــال العاملين في ميادين العلوم الاجتماعية والإنسانية المتعددة . يتضمن كتاب حسين فهيـــم الحالي (هذا الإنسان وعالَمُه) عدة قضايا ، سواء تلك المتعلقـــة بـــالرؤى الخاصـــة بماهية الإنسان ومتطلبات وجوده ، أو بعلاقـــة الإنســـان بـــالوجود عامـــة والكـــون خاصة ، وغيرها من القضايا التي أصبحت تتقاطع فيهـــا المقـــولات الفلســـفية مـــع الكشوفات التكنولوجية الحديثة والمؤدية إلى استحداث مفاهيم جديدة وتقديـــم نظريـــات ومقولات غير تلك التي كانت تعد حتى عهد قريب حقائق مطلقة .

يتميز كتاب " هذا الإنسان وعالَمُه " بسلاسة أسلوبه ، وعمق تحليلـــه ، وتنـــوع مصادر مادته . وقد جاء اختيار المؤلف لموضوعات مقالات الكتاب موفقاً لأهميتهـــا

وترابطها ، ولاهتمام الفكر الاجتماعي والعلمي المعاصر بها . ولقد نجحت مادة هذه المقالات أيضاً في الجمع بين خبرة الماضي ، وواقع الحاضر ، واستشراف المستقبل ، كما حرصت على تنوع مصادر المعرفة مما جعل هذا الكتاب عملاً ثقافياً عاماً وهاماً . ولقد أعجبني – ولا شك – تضمين المؤلف في نهاية كل مقال مقتطفات لآراء أو دراسات ذات صلة بموضوعه ، محاولاً الربط بين الفكر والفعل في واقعنا المُعاش علمياً وعالمياً . وأود أن أضيف أيضاً أن معالجة المؤلف لموضوع القرن العشرين والعصر الجديد (المقال الأخير) في إطار حواري بينه وبين القارئ قد اتصف بالسلاسة والتشويق ، بالإضافة إلى ما تضمنه من معلومات وفيرة ؛ وهو يُعدّ – في نظري – إضافة مبتكرة ، وجهداً أصيلاً ، لحرصه على استيعاب القارئ العادي للمادة العلمية دون إخلال بالقيمة المعرفية للمادة ، أو الضرورة التوثيقية لمصادرها . وإني لسعيد أن أحرر هذه السطور الموجزة عن هذه الإضافة المعرفية الجيدة إلى المكتبة الثقافية العربية بصفة عامة ، وإلى المهتمين كذلك بالدراسات الأنثروبولوجية خاصة .

هذا عن الكتاب أما عن المؤلف فأقول : يتقدمني الأستاذ والزميل حسين فهيم بسنوات طويلة ، ليس في الخبرة الأكاديمية المتنوعة والإثنوغرافية المتعددة فحسب ، بل في الميادين والسياقات الثقافية والاجتماعية التي عايشها ، سواء في أعماله الحقلية الإثنوغرافية الأولى في جنوب مصر (١) ، وما تلاها بعد ذلك في أفريقيا وأمريكا الشمالية ، أو من خلال تدريسه في الجامعات العربية والأوروبية والأمريكية ، وإنما أيضاً من خلال ولوجه المبكر في القضايا السجالية الكبرى التي كانت محور الاهتمام لدى جيل من الأنثروبولوجيين الطليعيين ممن قادوا المراجعات النقدية للتجربة التاريخية والعملية للأنثروبولوجيا . ولقد وضح ذلك جلياً في كتابه

"الأنثروبولوجيا المحلية" (٢) الذي تولى الإسهام فيه وتحريره ، وكذلك مساهمة شخصية أنثروبولوجية هامة أخرى مثل طلال أسد الذي تميز بمواقفه المشابهة وذلك من خلال الكتاب الذي أسهم بدوره في التعليق عليه وتحريره بعنوان "الأنثروبولوجيا في مواجهة الخبرة الاستعمارية" (٣) .

لقد مكنت هذه التجارب البحثية المتميزة ، والخبرة التدريسية الثرية للأستاذ والزميل حسين فهيم ، من تقديم رؤية جديدة ومعالجة نقدية لتاريخ الفكر الأنثروبولوجي . ولقد حظي مُؤلَفه السابق ، وعنوانه "قصة الأنثروبولوجيا : فصول في تاريخ علم الإنسان" (٤) ، بترحيب كبير من قِبل قراء العربية وطلاب الأنثروبولوجيا في الكليات الجامعية وفي الدوائر الثقافية العربية أيضاً . وبالنسبة لي شخصياً كان "قصة الأنثروبولوجيا" الكتاب العربي الأول الذي وجدت من خلاله المحاولة الأولى لشخصية أنثربولوجية عربية معاصرة تقول رأياً نقدياً مخالفاً لمسيرة الأنثرولوجيا الغربية وتاريخها الفكري والنظري . وعندما أصدر حسين فهيم فيما بعد كتابه "أدب الرحلات : دراسة تحليلية من منظور إثنوجرافي" (٥) استطاع أن يبرز من خلاله السياق التاريخي للتجربة العربية والإسلامية في التعامل مع الثقافات الأخرى ، وأن يسلط الأضواء على الجذور التاريخية للفكر الأنثروبولوجي عند العرب والمسلمين . لقد أمدنا حسين فهيم بنماذج عربية وإسلامية عديدة أسهمت من خلال رحلاتها وتقصيها وكتاباتها فيما أصبح يُطلق عليه بأدب الرحلات ، وبهذا مكّنا من الوقوف على التقاطعات المشتركة بين التجربة العربية والإسلامية ومثيلتها الغربية في التعامل مع الآخر الثقافي .

لقد شكلت فصول الكتابين السابقين المجال الواسع أمامي شخصياً لإثارة قضايا متعددة وحيوية مع عدد من طلاب الأنثروبولوجيا في جامعة البحرين ، وبخاصة القضايا المتعلقة منها بالمراجعات النقدية سواء للأثروبولوجيا الغربية أو الاستشراق ، بل التجربة الاستعمارية برمتها . لقد وفرت تلك الأعمال الآنفة الذكر لحسين فهيم الفرصة أمامي ، وكذلك لطلابي في الجامعة ، ليس فقط لإجراء عمليات النقد والتحليل للتجربة التاريخية للأنثروبولوجية في الغرب ، وإنما في متابعة وتفهم الرؤية النقدية التي كان يتسلح بها مفكر وناقد معروف مثل إدوارد سعيد وكتابه ذائع الصيت "الاستشراق" . (٦) وهكذا يأتي المؤلَف الحالي لحسين فهيم (هذا الإنسان وعالَمه) ضمن هذا السياق ، أي الزج بالهم الأنثروبولوجي في حركة السجال الخطابية الدائرة ، بين جمهور عام من المثقفين والمطلعين من العرب ، حول قضايا الفكر والفلسفة والمشكلات الحيوية التي تواجه الإنسان العربي بل وتقلقه مثلما تقلق الإنسان في بقاع أخرى من العالم . إن أمامي وكذلك زملائي من الأنثروبولوجيين العرب من أبناء الجيل الذي أنتمي إليه الكثير لنتعلمه من محاولات حسين فهيم الإبحار الدائم بسفينته الأنثروبولوجية في المحيط الفكري والفلسفي العام .

الإحالات والحواشي :

(١) راجع أعمال حسين فهيم التي تعود لهذه الفترة ، ولعل أبرزها في هذا الخصوص :

Hussein Fahim. Dams, People, and Development : The Aswan High Dam Case. (Pergman Press: New York, 1981) ; Egyptian Nubian : Resettlement and Years of Coping (University of Utah Press Salt Lake City, 1983).

(٢) راجع حسين فهيم :

Hussein Fahim (ed.). Indigenous Anthropology in Non-Western Countries (Academic Press, Durham, 1982).

(٣) راجع في هذا الخصوص المجلد الذي قام طلال أسد بالمساهمة فيه وكذلك بالإشراف على تحريره :

Talal Asad (ed.). Anthropology and the Colonial Encounter (Humanities Press, London, 1975).

(٤) راجع :

حسين فهيم ، قصة الأنثروبولوجيا : فصول في تاريخ علم الإنسان. سلسلة عالم المعرفة : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٩٨٦ .

(٥) راجع :

حسين فهيم ، أدب الرحلات : دراسة تحليلية من منظور أثنوغرافي ، سلسلة عالم المعرفة : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت ، ١٩٨٩ ، وأيضاً : حسين فهيم ، الرحلة والرحالة : دراسة إنسانية – ندوة الثقافة والعلوم ، دبي – الإمارات ، ١٩٩٧ .

(٦) راجع :

Edward Said, Orientalism : Western Conceptions of the Orient (Routledge & Kegn Paul : London, 1978).